عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الثانية: حلمي الوحدة والكرامة
الدرس الثاني: حلم الوحدة والقابلية للقياس والتقويم
اسم المحاضر: الأستاذ الدكتور أحمد عبادي

حلم الوحدة والقابلية للقياس والتقويم

بعد هذا البعد الذي يتصل بالتاريخ لابد أن نمر إلى الجغرافيا، حيث نتحدث عن كل هذه الأضرب من الحدود، وكيف أنها حدود لا ينبغي أن تكون وجدانية، وإنما ينبغي أن تكون أمنية، إجرائية، تدبيرية، لكي يتمكن أهل كل منطقة من تحمل مسؤولياتهم كاملة على منطقتهم التي يوجدون عليها، وعلى مجالهم الأرضي والجغرافي الذي يوجدون عليه، لكن دون أن يكون ذلك مدعاة للتنابذ وللتباعد الذي صرنا نرى الكثير من عالمه على أرض الواقع، ثم بعد ذلك لا بد أن يتم الانتقال إلى كل ما يرفد هذا من المهارات التي بها التبادل التجاري القائم على الرحمة، التبادل في الموارد البشرية القائم على التعاون، لا يفهم كيف أن النيلين الأزرق والأبيض يجريان على أرض السودان دون أن يتم استغلالهما لاستخراج ما يُطعم الخلق من سلة العالم الإسلامي وسلة العالم أجمع،إن تم توظيف هذه الأفضال، وهذه الأرض الخصبة، الذي يهدر من مياه النيل يوميا هذا يمكن تقديره بملايين الدولارات، فكيف إذ احتسبنا الأمر على مدى الأسابيع وعلى مدى الشهور ومدى السنوات.

هذا فقط نموذج للضياع الذي ينجم عن عدم التشخيص للوحدة في هذا البعد المتصل بالموارد البشرية الذي يمكّن من الاستغلال الأمثل للموارد الأرضية، وللمقدرات التي تتصل بالثروات المائية أو المعدنية أو غيرها من الثروات، ثم نمر بعد ذلك إلى كل هذه الأبعاد التي فيها البحث عن الأرضية المشتركة وإخماد النزاعات، وتفعيل كل هذه البؤر الوحدوية الموجودة في عالمنا الإسلامي، ثم أيضا في العالم أجمع، ومن ذلكم الأمم المتحدة والتي هي إذا فُعِّلت يمكنها أن تقوم بأدوار في غاية البهاء والنبل بهذا الخصوص.

فنحن نقول كل هذا لكي نرجع إلى مُبتدى الحديث، وهو أن التنزيل للوحدة لا يمكن أن يكون بشعارات، ولذلك فإن نهي الله عز وجل عن التنازع ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا**﴾، فإنه نهي يفيد الحِرمة؛ لأنه لم تقترن به قرينة تصرفه من الحِرمة إلى الكراهة، فبقي على حاله من الحرمة، والسبب في هذه الحرمة هو الفشل وذهاب الريح؛ أي عدم القيام بوظيفة الشهادة، أي إظهار ثمرات الرحمة المجزاة الموجودة في الوحي الخاتم، والتي بظهورها وذوقها يمكن أن يطفق العالَمون في رحلة اقتراب وسجود، ورحلة تراحم، ورحلة تثوير الإمكان الكامن في هذه البشرية، والتي إن تعاونت من خلال آلية التعارف ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13] يمكن أن تُنقَض الاستحالة، ولنتخيل مثلا أن لدينا مشروع يحتاج . إن أردت أن أقوم به بمفردي . إلى مليار سنة، ثم عمدت إليه وزعته إلى مليار قطعة، وأعطيت المسلمات والمسلمين، القادرات والقادرين على القيام بأجزاء من هذا المشروع كلا قطعة، ثم جمّعناها في سنة أو في سنة ونيف، ألن نكون بذلك قد قطعنا مليار سنة في سنة واحدة؟ والعالم الآن يتشكل من سبعة ملايير، لنقُل إن نصفهم فقط ثلاث مليار ونصف هم القادرات والقادرين على فعل شيء يُذكر، كيف لو أننا ارتقينا بحلم الوحدة هذا إلى هذا التعاون على البر والتقوى، وعلى إذهاب الخوف وشفط سمومه لاقتصاد الأموال التي لا أقول تنفق، ولكن في الكثير من الأحيان تهدر على التسلح من أجل أن تُقام بها صروح الأعمال البانية التي لن ينتفع بها هذا الجيل الشاخص الراهن الحاضر الآن، وإنما الأجيال القادمة كذلك.

فإذن حلم الوحدة لا ينبغي أن يبقى مجرد شعارات، وإنما هو عمل قابل للقياس، وعمل قابل للتقويم بمعنييه؛ أي التقييم والتقويم للاعوجاج، ومن ثمة التجويد والتحسين، فحلم الوحدة له كل هذه الأركان، وتمت الهداية بخصوص إقامة صرحها إلى كل هذه الآليات التي في كتاب الختم وفي سنة نبي الختم صلى الله عليه وسلم من أجل نقل الاستحالة وبناء الإمكان بهذا الخصوص، وإن ذلكم ليسير على من يسّره الله عليه، ولكن في الآن ذاته وجب أن تتم المزاحمة بالذكاء لنفضل؛ ولكي نسترجع هذا الحلم ولا نتركه على نبله في أيدي المارقين الذين يوقعون باستغلاله الاستغلال السالب لكل هذه الأضرب من الضرر التي نراها، والله المستعان وعليه عز وجل قصد السبيل ومنها جائر والحمد لله رب العالمين.